Al Omran
العدد السابع
تصدر عن قسم الهندسة المعمارية
7TH ISSUE

البعد الاجتماعي في تخطيط المناطق العمرانية في قطاع غزة

د.م. فريد صبح القيق
الجامعة الإسلامية -غزة

Articles The Social Aspect in Urban Planning in Gaza Strip

لقد عاش المواطن الفلسطيني فترات طويلة يُخطط له وفق إرادة الآخرين وضمن حسابات كانت تغيب فيها رغباته ومتطلباته الأساسية. إن طغيان الاعتبارات السياسية والاقتصادية التي مر بها الشعب الفلسطيني في العقود الأخيرة جعلت المضمون الاجتماعي للتخطيط (هذا إن فكر به أحد أصلاً) يوضع في أدنى درجة من الأولويات. إن ذلك و بلا شك أدى بالمواطن الفلسطيني إلى الحياة في ظل بيئة معيشية يعتريها الكثير من الخلل وفي خلق حياة اجتماعية يشوبها الكثير من النواقص. إن التفاعل بين البيئة المبنية والإنسان الفلسطيني أوجدت فينا الكثير من النوازع السلبية ولم تسهم في تقويم سلوكياتنا أو توجيهها بشكل إيجابي في كثير من الأحوال. لقد انعكس ذلك مزيد من المعاناة على المجتمع وضعف وتوتر في العلاقات الاجتماعية بين السكان. إن تجاهل المخططين لهذا المضمون الاجتماعي وتغليبهم للجوانب الفيزيائية للتخطيط، أفقد مخططاتهم الكثير من المزايا، والتي كانت ستسهم بتخفيف المعاناة عن كاهل المواطن وزيادة التآلف والترابط بين أبناء الشعب الفلسطيني، وخاصة في ظل هذه الظروف القاهرة.

أثر نقص الخدمات على العلاقات الاجتماعية

إن افتقار معظم المناطق العمرانية السكنية في القطاع للخدمات والمرافق العامة الكافية وعدم تناغم توزيعها في أطر عمرانية متوازنة تحقق عدالة التوزيع الجغرافي لهذه الخدمات وتسهم في تكوين خلايا أو مجاورات سكنية ذات نطاقات واضحة، إن كل هذا يقلص من فرص إيجاد بيئة معيشية تخلق الظروف الملائمة لنشوء علاقات اجتماعية ترتبط بمكان السكن. إن وجود علاقات اجتماعية مرتبطة بشكل أكبر بمكان العمل (وإن كان ذلك هو أحد سمات الحياة الحضرية بشكل عام) إلا أن هذه العلاقات والتي تتشابك مع متطلبات العمل يجعلها في كثير من الأحيان عرضة للتقلبات وعدم الاستقرار، وتتسم بالنفعية والسطحية في أحيان أخرى. لذلك فإن وجود مراكز حضرية في المناطق السكنية تحتوي على مساحات ترفيهية ومنشآت خدمية تشكل مكاناً لتلاقي الناس وتعارفهم يمكن أن يساهم في تكوين علاقات إنسانية أقل تأثراً بالمصالح الشخصية التي يفرزها واقع العمل.

كذلك فإن قلة المسطحات الخضراء والمناطق المفتوحة ذات الطابع الترفيهي، سواء على مستوى الخلايا السكنية الصغيرة أو على مستوى

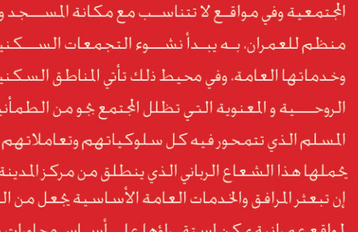

مدينة الشيخ زايد
إحدى المجاورات السكنية التي تتميز بتكامل الخدمات والمرافق

المدينة بشكل عام، يفقد المناطق العمرانية عنصراً هاماً كان سيشكل حاضناً إيجابياً للتفاعل المجتمعي بين السكان. كما أن ساحل البحر والذي من المفترض أن يشكل متنفساً لسكان القطاع في فترات الصيف ويسهم بشكل كبير في تفعيل الحياة الاجتماعية قد تضرر بشكل واضح نتيجة التكدس الهائل للمصطافين، والذي ينبع من قرب العمران وشارع الرشيد من ساحل البحر وضيق الشريط الساحلي وافتقاره للخدمات الاستجمامية اللازمة وخاصة في واجهة الكتلة العمرانية الأساسية في القطاع – مدينة غزة.

دور المسجد في النسيج الحضري

لقد كان المسجد في مخطط المدينة الاسلامية التقليدية قلبها النابض وبؤرة حضارية تتمركز حولها الفعاليات الاساسية للمجتمع. لقد كان ذلك يعني قوة روحية ومعنوية عالية تعبر عن انضباط المجتمع المسلم وتمحوره حول القوة المنظمة لأمور حياته وسلوكيات أفراده. إن النمو الغير منظم للعمران أو إفراز أراضي لأغراض سكنية بدون صورة واضحة عن ماهية الخدمات الملحقة بها، جعل كتلة المسجد في كثير من الحالات تبنى على قطع أراضي طرفية ومعزولاً عن باقي الفعاليات المجتمعية وفي مواقع لا تتناسب مع مكانة المسجد ودوره في المجتمع كعنصر هام منظم للعمران. به يبدأ نشوء التجمعات السكنية وحوله تلتف مرافقها وخدماتها العامة. وفي محيط ذلك تأتي المناطق السكنية لتستشعر قوة المسجد الروحية و المعنوية التي تظلل المجتمع بجو من الطمأنينة وتعكس واقع المجتمع المسلم الذي تتمحور فيه كل سلوكياتهم وتعاملاتهم حول عقيدة الإسلام الذي يحملها هذا الشعاع الرباني الذي ينطلق من مركز المدينة مع كل آذان.

إن تبعثر المرافق والخدمات العامة الأساسية يجعل من الصعب وضع حدود فاصلة لمواقع عمرانية يمكن استقراؤها على أساس مجاورات سكنية لها استقلاليتها النسبية (باستثناء بعض المواقع العمرانية التي أقيمت بشكل متكامل منذ البداية بما تشمل من خدمات ومرافق عامة – مدينة الشيخ زايد على سبيل المثال). إن هذا يجعل الكثير من المناطق العمرانية تبدو متشابكة مما يؤدي الى ضعف الشعور بوجود خلايا سكنية بمراكز خدمية تعمل على تآلف وتلاقي أعمق لمجموعات من السكان، وبالتالي تساهم في خلق علاقات إنسانية قوية تشعر الفرد بالطمأنينة وتحد من الشعور بالضياع والعزلة وسط هذا المجموع الضخم والتكدس السكاني والبنائي الهائل لعمران المدينة اللامتناهي.

ظاهرة الأبراج والسكن الجماعي وأثرها على السلوك الاجتماعي

إن المساحة المحدودة لقطاع غزة وعدد السكان الضخم مقارنة بهذه المساحة كان ولابد له أن يفرز كثافة بنائية عالية، تمثلت بانتشار ظاهرة الأبراج وعمارات السكن الجماعي. إن هذا الفرز القهري والمتسارع لظاهرة الأبراج لم يواكبها فهم اجتماعي مناسب لمتطلبات هذا النوع من النمط الإسكاني، مما نتج عنه العديد من المشاكل بين السكان خاصة وأن معظم الفلسطنين جاءوا من خلفيات ذات أنماط إسكانية ترتبط أكثر بالعائلة الممتدة، أو من بيئات عمرانية ذات تركيبة خاصة كمناطق المخيمات. إن هذه الوتيرة المتسارعة لتغير النمط الإسكاني وصعوبة التكيف السريع مع متطلباتها يؤدي الى التصاق بعض سمات المجتمع العشائري وبعض مظاهر التريف بالحياة الحضرية، مما يؤدي الى تشويش بعض النواحي السلوكية وضعف في آليات الضبط الاجتماعي وسيادة القانون المدني، والذي هو أهم سمات الحياة العصرية. لذلك فإن وضع سياسات إعلامية للتثقيف الحضري تساعد الناس في إدراك متطلبات الحياة الحضرية وخصائصها يمكن أن يسهم بأقلمة السلوك الاجتماعي للتكيف بشكل أفضل مع أسلوب الحياة الحضرية.

دور التسلسل الهرمي لمنظومة العمران على العلاقات الاجتماعية

إن نظام التخطيط الشبكي النافذ والمستخدم في كثير من تخطيط المناطق العمرانية في قطاع غزة يضعف من قدرة المخطط الفلسطيني على إيجاد بؤر حضرية يغلب فيها المرور المحلي وتحد من نسبة المرور العابر لتمكن من احتضان منشآت خدمية تساهم في تدعيم العلاقات الاجتماعية. إن العديد من الأحياء السكنية و المناطق العمرانية في مخططاتنا الهيكلية لا تخضع لمخططات تفصيلية لاحقة مما يؤدي في بعض الأحيان بالمخطط إلى اقتراح منظومة شبكة طرق تشمل الشوارع الرئيسية والمغذية، وتلك الأخيرة تصمم في أحيان كثيرة لتقترب من شبكة الطرق المحلية ولكن بنفس خصائص الشوارع المغذية من حيث ميلها أكثر إلى الاستقامة والمباشرة. وبالتالي يؤدي ذلك إلى ضعف التمييز بين شبكة الشوارع المحلية والمغذية في كثير من المناطق. إن هذا الأسلوب يخل بالتدرج الهرمي المطلوب تواجده في تصميم شبكة الطرق والذي من المفترض أن يقلل من نسبة المرور العابر لحركة المركبات كلما انخفضت رتبة الطرق وكلما اقتربنا من الشوارع المحلية، والتي يفترض أن تغلب فيها حركة المشاة المحلية لتشكل ملاذاً للمسطحات الخضراء المرتبطة ببعض الخدمات والمرافق العامة التي يحتاجها جمهور المواطنين بشكل يومي. لتشكل بمجموعها مركزاً حضرياً يساعد على تقوية العلاقات الاجتماعية في محيط المجاورة. إن هذا يتطلب معالجات مختلفة لشبكة الطرق المحلية تكون فيها أقل استقامةً ونفاذيةً من شبكة الطرق المغذية وهذا يتطلب خروج شبكة الطرق المحلية من منظومة نظام الشبكة المتعامدة والنافذة ولتكون أكثر ارتباطاً بالكتل والتشكيلات العمرانية على مستوى الخلية السكنية الواحدة. لاشك أن النظام الحالي لشبكة الطرق في كثير من مناطقنا العمرانية يشجع بشكل أكبر على إيجاد محاور تجارية شريطية تتبع بعض الشوارع الرئيسية والمغذية في شبكة الطرق، و بالتالي تؤدي إلى تنائر المرافق والخدمات العامة الأساسية على طول الشارع وتباعدها وتضعف من فرص تواجد هذه المرافق في أماكن مركزية يمكن أن تكون بؤراً حضرية ذات نطاقات عمرانية محددة تسهم في إيجاد تسلسل هرمي أفضل لمنظومة العمران وما يتبعها من تسلسل هرمي لرتب المرافق والخدمات العامة الأخرى. و مما يزيد من سلبية هذا الأمر أن هذه المحاور الشريطية غالبا ما تأتي بدون عروض كافية أو مرات مشاة عريضة مفصولة بشكل واضح عن حركة المركبات، كما أنه يغلب عليها الطابع التجاري بدون نسبة كافية من المنشآت الثقافية والترويحية الأخرى. وكل ذلك يضعف من قدرتها على الاحتفاظ بأجواء إيجابية تشجع المواطنين على ارتيادها بهدف التنزه أو تفعيل الحياة الاجتماعية.

وختاماً أتمنى أن تكون هذه المقالة بداية لتدارك الموقف وإعادة الاعتبار للمستهدف الأول من تخطيط بيئتنا العمرانية، ألا وهو الإنسان الفلسطين. ■